المشرق

النُجْح الضامن

بغبطة السيّد البطريرك كيرلُّس الثامن

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كاد الله تعالى يستأثر بعبدهِ بطرس الارض لينقلهُ الى دار الخلود حتى لطف بطرس السماء بقطيع الفقيد وشفق على يُتم كنيستهِ فاقام لاخوتنا الروم الكاثوليك الافاضل يوم عيدهِ الميمون راعياً صالحاً وأباً غيوراً يعدُّونهُ خير خلف لمن سلف ألا وهو صاحب الغبطة السيد الجليل كير كيريون كيرلُّس جحا رئيس اساقفة حلب وسلوقية وقورش. فدقَّت البشائر وعلت اصوات الفرح واخذ الجميع يهنئون نفوسهم اذ حصلوا على مثلهِ بطريركاً اشارت اليهِ القلوب قبل ان تتَّفق على انتخابهِ الاصوات. اما نحن فنقدّم لغبطتهِ ولكل طائفة الملكيين تهانئنا الخالصة ونرفع الى ابي الانوار اكفَّ الضراعة ليؤيد مختارهُ بيمينهِ القادرة ويقرن بالنجح صوالح اعمالهِ ويبلّغهُ اقاصي آمالهِ لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الكاثوليكيَّة فيعدّ للرب شعباً كاملاً ويتمّم رغبة ابي المؤمنين في توثيق عرى الاتفاق بين الاخوة وجَمْع القلوب في عواطف الحبّ ووحدة الايمان لتكون غنماً قليل حظيرة واحدة وراع واحد

*

ولمَّا كان غبطة البطريرك الجديد هو الثامن من اسمهِ على كرسي انطاكية الرسولي وطلب الينا بعض ادباء طائفة الروم الكاثوليك ان نسطّر لهم ملخص تاريخ الذين

سبقوا عهدهُ بهذا الاسم اجبنا بطيب الخاطر الى طلبهم لاسيّما انّنا رأينا اختلافاً كبيراً في القوائم التي سُردت فيها سلسلة بطاركة انطاكية فترى البعض لا يذكرون الّا ستّة اشخاص اشتهروا باسم كيرلُّس والبعض خمسة او اقلّ. فراجعنا الكتبة الموثوق بهم في هذا الامر كالبولنديين في المجلّد الرابع من تموز حيث عدّدوا بطاركة انطاكية من كاثوليكيين ويعاقبة وغيرهم وراجعنا ايضاً الشرق المسيحيّ للوكيان وتاريخ باروذيوس المطوّل. ومن كتب الشرقيين التي اعملنا فيها النظر كتاب التواريخ الملّيّة في شرح احوال البطريركية للقس يوحنّا العجيميّ وكتاب الخلاصة الوافية في تاريخ بطاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك الروميّ الاورثذكسيّ. فقابلنا بين هذه التآليف كلها واستخلصنا منها ما يأتي مع فوائد اضفناها اليها

﴿ اسم كيرلُّس ﴾ اوّل ما ظهر اسم كيرلُّس في القرن الاوّل للميلاد استعملهُ الرومان واشتقُّوهُ من اليونانيّة كيريوس (Κύριος) بمعنى الرب والسيد فصاغوهُ على مثال الاعلام المصغّرة فصار كيرلُّس اي السيد الصغير. كما قالوا « Plautillus » و « Domitilla » في تصغير « Plautus » و « Domitia ». وفي تواريخ شهداء النصرانيّة عدّة من الابرار الذي دُعوا باسم كيرلُّس اعظمهم في سوريّة كيرلُّس الشمّاس البعلبكيّ الذي مات في سبيل الايمان القويم على عهد يليانوس المارق قتلهُ الوثنيُّون في بعلبك بعد ان مثّلوا بهِ واذاقوهُ الموت الرانا. وقد شرّف هذا الاسم رجالٌ تفتخر بهم النصرانية لا يزال ذكرهم حيّاً في الكنيسة منهم كيرلُّس الاورشليميّ الذي ناصب شيعة آريوس مدّة نحو اربعين سنة فردّ سَوْرتها وكبح جماحها وتوفي سنة ٣٨٩. ومنهم كيرلُّس الاسكندريّ الذي دافع عن وحدة الاقنوم في المسيح وعن الامومة الالهيّة فكسر شوكة البدعة النسطوريّة وافاز الايمان الكاثوليكي بانتصار باهر كان موتهُ سنة ٤٤٤. ومنهم رسول الصقالبة القديس كيرلُّس الذي ارجع الى الايمان في بلاد التلاخ والبغدان واللان وكرواتيا ودلماتيا شعوباً عديدة بشّرهم بالانجيل مع اخيه ميثوديوس في القرن التاسع. وكانت وفاتهُ في رومية فامر البابا ادريان الثاني بان يُدفن في القبر الذي كان اعدّهُ لنفسهِ. وهؤلاء القديسون الثلاثة المدعوُّون باسم كيرلُّس قد احيا ذكرهم البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً في الكنيسة الغربيّة وامر بان تُنتظم اعيادهم في سلك المتقدمين بين اولياء الله

﴿ بطاركة انطاكية المعروفون باسم كيرلس ﴾ انطاكية اوّل كرسيّ بطريركي جلس عليهِ اسقف باسم كيرلّس وكان ذلك في اواخر القرن الثالث. خلف الاسقف تيمارس في رئاسة مدينة الله انطاكية في السنة الرابعة للقيصر بروبوس اي السنة ٢٨٠ وهو البطريرك التاسع عشر منذ جلس بطرس هامة الرسل على الكرسيّ الانطاكيّ. وقد جعلهُ الخوري ميخائيل بريك العشرين في الرتبة وذلك لانهُ اقحم بطريركاً دعاهُ مكاريوس بين دمتريانوس البطريرك الخامس عشر وبولس السميساطيّ الاراتيكيّ ولم نجد ذكراً لمكاريوس المذكور في تاريخ اوسابيوس وفي السلاسل البطريركيّة التي راجعناها. وكانَ كيرلّسُ الاوّل رجلاً باراً ادرجت الكنيسة اسمهُ في سجلّ القديسين وتذكرهُ في اليوم ٢٢ من تموز وجاء في السنكسار الروماني انهُ اشتهر بعلمهِ وقداستهِ. وفي تاريخ العجيميّ انهُ « كان رجلاً بسيطاً جدًّا وغيوراً وذا خصال حميدة وفضائل وافرة ودبّر الكنيسة بمثل صالح ». ولا مراء انهُ جاهد في سبيل الايمان وتحمّل محناً شتّى على عهد ملكيّ رومة المقتصبَيْن ديوقلسيان ومكسيميان. وقد نقل بارونيوس عن مُنيريسيوس انهُ مات في الحبس. الّا ان اوسابيوس المؤرخ لم يدوّن هذا الامر في تاريخهِ مع انهُ عاش في زمانهِ ليس بعيداً عنهُ. اما تاريخ وفاتهِ فقد اختلف فيهِ الكتبة والارجح انهُ توفّي سنة ٣٠٠ بعد ان دبّر الكرسيّ مدّة عشرين سنة

ولم يظهر اسم كيرلّس على الكرسي الانطاكي بعد وفاة كيرلّس الاوّل حتى اواخر القرن الثالث عشر. قال المؤرخ اليونانيّ باخيراس: « ولمّا توفي ارسانيوس (وهو البطريرك المئة والرابع عشر) انتخب اساقفة الشام لهُ خلفاً كيرلّس (وهو الثاني باسمهِ) وكان رئيس اساقفة صور. اما اهل قيليقية فاختاروا ديونيسيوس اسقف مدينة بُشيوبوليس من اعمال قيليقية » وكان ذلك سنة ١٢٨٧ للميلاد فجرى نزاع بين المنتخَبَيْن لم يحسم اوارهُ الّا سنة ١٢٩١ بوفاة كيرلّس الثاني فصار تدبير الكرسيّ في يد ديونيسيوس الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦. وكيرلّس هذا لم يذكرهُ الخوري بريك في تاريخهِ بل لم يذكر احداً من البطاركة الذين خلفوا ايريثاوس الاوّل الى اغناطيوس الثاني وهم اثنا عشر بطريركاً في جملتهم كيرلّس الثاني وكيرلّس الثالث وانما ذكر فقط بطركاً يدعوهُ اثناسيوس ولا ذكر لهُ في غيرهِ من المؤرخين (١

(١) وقد انتبه الخوري ميخائيل بريك الى هذا الخلل فكتب في تاريخهِ بعد ذكر اثناسيوس ما نصّهُ

ثم خلف ديونيسيوس السابق ذكرهُ كيرلُس آخر الثالث باسمهِ سنة ١٣٠٦. وقد ذكرهُ المؤرخ الرومي نيقيفورس كالستوس وهو من كتبة القرن الرابع عشر على انَّ بعض اصحاب الانتقاد لا يثقون بقول نيقيفورس ويظنُّون انهُ خلط بين كيرلُس الثاني والثالث وقد جاء في سلسلة بطاركة انطاكية العربيَّة التي نشرها السمعانيّ ان خلف ديونيسيوس كان يُدعى كيريانوس لا كيرلُس والله اعلم. واماَّ اخبار هذا البطريرك فمجهولة

ورابع البطاركة الانطاكيين الذين عُرفوا باسم كيرلُس جلس على الكرسي البطريركي سنة ١٦١٨ وهو على حساب لوكيان البطريرك المئة والخمسون وفي سلسلة العجيمي المئة والثامن والعشرون. وفي تاريخ الخوري بريك المئة والتاسع والثلاثون. وقد خلف في البطريركيَّة اخاهُ اثناسيوس الثالث المعروف بابن الدبَّاس وكان اثناسيوس كاثوليكيًّا شهد بذلك نيقيفورس مليطان مطران جزيرة نكسوس والاب حنَّا غوتيار المرسل اليسوعي وكلاهما عاش في ايَّامهِ (١. وقد جاء في مجلَّة كنائس الشرق (ج ٢ ص ٤١٢) ان اثناسيوس عقد مجمعًا في دمشق سنة ١٦١٧ فصادق مع اساقفتهِ على القضايا الخمس التي تحدَّدت في المجمع اللورنتيني. وزاد القس يوحنَّا العجيمي في تاريخهِ (ص ٣١٠) انهُ اتفق واياهم على ان يرسلوا قاصدًا من قبلهم الى البابا الروماني لكي يطلبوا الشركة لكنهُ لم يستمرّ زمنًا مديدًا في الكرسي. ولمَّا خافهُ اخوه كيرلُس الرابع اقتفى آثارهُ وعضد الايمان الكاثوليكي وقد تعرَّض لهُ في سلطتهِ بعض اخصامهِ. قال صاحب مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ١٩): «انَّ البعض من اضداد كيرلُس كان قد انتخب السيِّد اغناطيوس مطران صيدا. فوقع وقتئذٍ الشقاق بين البطريركين وكان اغناطيوس غنيًّا لكنهُ لم يكن محمود الصفات وقد تحزَّب لهُ الامراء من آل معن فاضطهد كيرلُس وجماعتهُ يكابد نفقات جزية وقيل انهُ وافق على قتلهِ فقُتل». وقد جرى ذلك سنة ١٦٢٨ لكنَّ اغناطيوس لم ينتفع من اثمهِ زمنًا طويلًا فقُتل ايضًا بعد ثلاث سنوات. قال القس يوحنَّا العجيمي في التخيكون (ص ٣١٠): «وكيرلس هذا كان كاثوليكيًّا

بالحرف: (ومن بعد مولاء لم عدنا وقفنا على تاريخ لبطاركة انطاكية لا في الكتب ولا في التواريخ الافرنجية ولا في الروميّ ولا العربيّ وكان انتهازم الى ايَّام فتوح الملك الظاهر لمدينة اقه. ومن ذلك الحين عُدمت اخبارهم بالكليَّة لعدم ظهور مؤرخ جديد يتبع تواريخ علماء الملَّة المسيحيين وكل ذلك لكثر الهم والغمّ والبسر والضيق الذي اصاب بني المسودية سببهُ كثرة خطاياهم»

١) راجع مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient. IV p. 274)

مثل اخيهِ اثناسيوس وكان دائماً ينادي ضدَّ الانشقاق » وقد سمع الله دعاءهُ لانَّ خلفاءهُ افتيميوس كرمه الثاني وافتيشيوس الاوَّل الصاقزلي ومكاريوس الثالث جاهروا بمعتقد الكنيسة الرومانيَّة رغماً عدد المؤمنين حتى ان الاب يشوع اليسوعيّ دوَّن في كتابه سوريَّا المقدَّسة (ص٧٢) انَّ عدد الكاثوليك في دمشق وحدها كان يبلغ سبعة آلاف نفس

كيرلس الخامس رُقِّي الى الكرسيّ الانطاكي سنة ١٦٧٢ فدبَّره الى اوائل سنة ١٧٢٠ وقد لقي في نافيطرس مطران حماة وفي اثناسيوس الرابع خصمين ألدَّين ناصباهُ وفصلاهُ مدَّة عن كرسيهِ لكنَّ الله اخلفهُ باعدائهِ فساس رعيَّتهُ بحزم ودراية . وقد اثنى على هذا البطريرك الشهير دمتريوس بروكوبيوس فنعتهُ « برجل وسولي سامي القداسة ذي معارف واسعة بارع باللُّغتين العربيَّة واليونانيَّة ضليع بتفسير الكتاب الالهي ومبشِّر نشيط لكلمة الله » امَّا انتماؤهُ الى السدَّة الرومانيَّة فقد وصفهُ الاب ناخي ونيس رسالة اليسوعيين السوريَّة في أيَّامهِ (١ قال : « انهُ اوسل الى البابا اقليمس الحادي عشر صورة ايمانهِ مع عصاة الرعاية دلالةً على خضوعهِ التام لنائب المسيح سنة ١٧١٧ ». وفي أيَّامهِ علا منار الكثلكة في بلاد الشام واشتهر كثيرون من الاساقفة والكهنة المستقيمي الايمان . قال صاحب التواريخ المليَّة : « وقد تظاهر كيرلُّس جدًّا في اواخر سني رئاستهِ في رفض الانشقاق وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة وما كان يكلّ عن الوعظ والتعليم لشعبهِ وكان عنده كهنة كثيرون ذوو ايمان حارّ وغيرة ومعرفة لم يكلُّوا عن التعليم والكرز بامر البطريرك الصالح ويثبتوا الجميع في الاعتقاد بالرأي المستقيم » . وقد شهد لهُ ايضاً الخوري ميخائيل بريك حيث قال بعد ذكرهِ استعفاء اثناسيوس الرابع : « ثم انَّ المغبوط كيرلُّس دبَّر الشعب حسناً ورعى رعيَّة المسيح بهدوء وكان صاحب سعد وجاه امام الحكَّام وطاعت لهُ البلد وجميع الابرشيَّة وعمَّر الكنيسة وزيَّنها وسعى بالحكمة والتدبير وكذلك عمَّر القلاَّية ولهُ اتعاب كثيرة مع المسيحيين ورفع عنهم مظالم شتَّى وهو مشكور للغاية (٢ »

امَّا كيرلس السادس فهو سارافيم طاناس ابن اخت المطران افتيميوس مطران صيداء

---

١) راجع الرسالات اليانية (Lettres édifiantes I. 87) ٢) جاء في مجلَّة اصداء الشرق (٥ : ٢٢٠) ان كيرلُّس ألَّف « كتاب الدمع المسجوم على انشقاق الروم » . لكنَّ هذا غلط فانَّ الكتاب المذكور من تآليف الاب فروماج اليسوعي . وكذلك ورد هناك (ص ٣٢٨) انَّ كيرلُّس الخامس جمع في طرابلس مجمعاً لتعزيز الايمان الكاثوليكي وسند قولهُ هذا الى تاريخ القس يوحنا العيسي وقد راجعنا هذا الكتاب فلم نجد اثراً للمجمع المذكور

واكبر انصار الكثلكة في زمانهِ. وكان هذا قد درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومية واحرز ثقة الكرسي الرسوليّ الذي وكل اليهِ بعض المهمّات في ايّام كيرلُّس الخامس. فلمّا توفي في حلب اثناسيوس الرابع خلفُ كيرلُّس الخامس سنة ١٧٢٤ اختار الاساقفة المجتمعون في دمشق ساروفيم المذكور(١. الّا انّ احد كهنة البطريرك اثناسيوس يدعى سلبسطرس لم يرضَ بهذا الانتخاب وادّعى لنفسهِ البطريركيّة استنادًا الى وصية البطريرك المتوفى فذهب الى القسطنطينيّة وطلب من المجمع القسطنطيني ان تُعهد اليهِ البطريركية ففعلوا. ومذ ذاك اليوم قُسمت الطائفتان قسمًا نهائيًا فصار لكل منهما راعٍ. امّا كيرلُّس السادس فاثبتهُ حبر الاحبار سنة ١٧٢٩ ومنحهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر درع الرئاسة سنة ١٧٣٧ فسعى على غاية امكانهِ في نشر الايمان الصحيح وقد عانى من المشقّات والمحن ما يكلُّ عن وصفهِ قلم الّا انّ الله قرن بالنجح مساعيهُ وانمى رعيتهُ ولم تزل مذ ذاك اليوم حبّة الخردل تكبر وتقوى حتى صارت اليوم دوحةً باسقة الاغصان وارفة الظلال تسرُّ مدينة الله. وكانت وفاة كيرلس السادس سنة ١٧٦٠ الّا انهُ تنزّل عن كرسيهِ قبل ذلك بسنة

امّا كيرلس السابع وهو آخر من عُرف بهذا الاسم قبل البطريرك الجديد فانهُ انتُخب في غاية كانون الاوّل من سنة ١٧٩٤ وكان اسمهُ كيرلُّس سيّاج وكان مطرانًا على حوران بيد انهُ لم يجلس على الكرسي البطريركي الّا سنتين ونصف سنة فتوفي في ٢٥ حزيران ١٧٩٦ ودُفن في عينتيت حيث توفي. قد وصفهُ صاحب مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين بكونهِ « سليم القلب لا غشَّ فيهِ متواضعًا محبًّا للجميع »

فترى ممّا سبق انّ الذين دبّروا الكرسي الانطاكي باسم كيرلُّس كلُّهم ممّن امتازوا بالفضل واستقامة الايمان فشرّفوا الكرسي الذي تولّوا ادارتهُ وزيّنوا بيعة الله بفضائلهم. ولا شكَّ ان البطريرك الجديد يزيد اسم كيرلُّس رفعةً وجلالًا ويبقى على طروس التاريخ من اعمالهِ ذكرًا طيّبًا فانّ لنا في ماضيهِ احسن ضمانةٍ لمستقبله حقّق الله امانينا وحفظ شخصهُ الكريم سنين عديدة لخير الكنيسة وفخر الوطن

سقيًا لطائفةٍ غدا نبراسها كيرلُّس المفضال وهو الثامنُ
حبرٌ بهِ روض الكنيسة قد زها وجلوسهُ الميمون نجحٌ ضامنُ

(١ قد ظنَّ لوكيان في كتاب الشرق المسيحي (٢ : ٧٧١) ان ساروفيم وكيرلس مختلفان وهو خطأ